البعيد فان الصحائف اجسام كتبت فيها رقوم تدل بالاصطلاح على اعمال هي اعراض فليس الموزون اذًا العمل بل محل نقش يدل بالاصطلاح على العمل، والمعتزلي تأول نفس الميزان وجعله كناية عن سبب به ينكشف لكل واحد مقدار عمله وهو ابعد عن التعسف في التأويل بوزن الصحائف وليس الغرض تصحيح احد التأويلين بل ان تعلم ان كل فريق وان بالغ في ملازمة الظواهر فهو مضطر الى التأويل إلا ان يجاوز الحد في الغباوة والتجاهل فيقول الحجر الاسود يمين تحقيقيا، والموت وان كان عرضا فيستحيل فينتقل كبشا بطريق الانقلاب، والاعمال وان كانت اعراضا وقد عدمت فتنتقل الى الميزان ويكون فيها اعراض هي الثقل ومن ينتهي الى هذا الحد من الجهل فقد انخلع من ربقة العقل » اه

باب المقالات

التعاون والتخاذل (*)

نحن في زمن فاز فيه المتعاونون ، وهلك فيه المتخاذلون ، سعدت فيه أمم بأعمال الجماعات ، وشقيت امم باسرة الافراد ، فالامم فيه درجات بعضها فوق بعض فأعلاها ما كثرت فيه الجمعيات ، المتعاونة على الخير بقدر كثرة الخيرات ، ويليها ما قلت فيه الجمعيات فقلتها من الخيرات والمنافع ما فضلها به مافوقها ، ويعبر عن هذه الامم بالامم الحية العزيزة ، والحياة والعزة فيها متقارنة — أو مقولة بالتشكيك كما يقول المحققون — فذلك يخاف ويرجو بعضها بعضا ، وأية أمة عاقلة تأمن سنة الله في تنازع البقاء ، وطمع الاقوياء في الضعفاء ؟

(*) نشرنا هذه المقالة واتبعنا فيها بجريدة الحضارة التي تصدر في الاستانة

واما الامم الذليلة التي تقابل هذه الامم فهي في دركات متفاوتة ايضا ادناها منها في القسمة العقلية ما ليس فيها جماعات تتعاون على الخير ولا على الشر ، ولا يخذل بعض افرادها بعضا في الاعمال النافعة ، ويليها في السفل الامة التي يتخاذل افرادها في الخير فلا ينبري فيها احد لعمل نافع لها الا ويتصدى بعض الافراد لمناهضته وخذله . واما الامة التي تعد في الدرك الاسفل فهي التي تتألف فيها الجماعات لتأييد الباطل وعمل المنكر ، ولخذلان الحق ومقاومة المعروف ،

لا يخذل فرد من الافراد ، ولا جماعة من الجماعات ، عملا من أعمال الخير لأمته مع الاعتراف بأنه خير ، وانما يخذلونه إدعاء انه شر ما او يشتمل على الشر أو يترتب عليه شيء من الشر ، ومنهم من يعتقد صحة ما يدعي لجهله كنه العمل او لان بغضه أو حسده للعامل يقلب صورة العمل في مخيلته ويلونه بغير لونه فهو ينظر الى ما في خياله ويحسب انه عين ما في الخارج ، ومنهم من يضل على علم ويتعمد الفرية والبهتان ، ارضاء لحسده او حسد من يغريه بالمقاومة والخذلان ، أو اعتذارا عن الامتناع من المساعدة التي تنتظر من مثله ، وهو يبخل بها ولا يعترف ببخله ،

الحسود الذي يبغي بحسده ، والشحيح الذي يطيع شحه ، وصاحب الهوى الذي يتبع هواه بالباطل لا مطمع في اتقاء شرهم الا باصلاح نفوسهم او مقابلتهم بقوة لا قبل لهم بها فان كان الاول متعذرا على العامل فالثاني مما يتيسر له الا اذا فقدت الامة استعداد الخير وكانت في حكم سنن الله في عدد الهلكى . واما من يخذل العمل النافع لاعتقاده انه ضار فعلاجه سهل وطبه حاضر اذا كان مخلصا تقيا سواء كان سبب اعتقاده الجهل المطلق ، او السخط الذي أراه العمل بغير صورته الحقيقية ، ولكن قد يعسر التمييز بينه وبين سيء النية ، او يجهل الطريق لايصال العلاج اليه

ليس بيني وبين معالجة المخلص الحسن النية الا ان يصل صوتي الى أذنه او يلقى كتابي بين عينيه ، فيقرأ او يسمع الحجة التي ادلي بها اليه ، وكأني به وقد زال عنه الغشاء ، وانكشف له الغطاء ، فاستبق باب المتاب ، واستغفر ربه وأناب ،

اقول له الخلاف بين البشر سنة غريزية فيهم لا مطمع في تبديلها فاذا جعلنا

الخلاف في الرأي والفهم سببا التنازع والتخاذل ، نكون سجلنا على انفسنا الفشل الدائم والهلاك البطيء او العاجل ، ولا يختلف الناس في شيء كاختلافهم في الامور الاجتماعية وما به تترقى الامم او تتدلى لان كل واحد يدعي العلم بذلك وان كان يقل في الناس ذو العلم الصحيح التفصيلي بمسائل الاجتماع البشري واصلاح احوال الامم ، يقل ذلك في الشعوب التي استبحر فيها العمران وارتقت علومه ، ويكون اندر من الكبريت الاحمر في سائر الشعوب ، فان وجد فيها كان مجهول القدر ، غير متمكن من كل ما يقدر عليه من النفع ، بل ربما كان علمه سبب بلائه ومحنته ، واضطره الى الهجرة من وطنه ، وكأين من نبي كريم ، وعليم حكيم ، وصوفي كبير ، وسياسي خبير ، كافأه قومه على ما تصدى له من إصلاحهم باهراق الدم ، او النفي من الارض ، او الضرب او السب ، ثم ظهر في حياته او بعد مماته انه كان هو المصيب وكل من ناوأه من المخطئين الخاطئين

اذا تذكر المخالف هذا ووعاه انتقل به الى البحث في ضعفنا ، وحاجتنا الى دفع الخطر عن انفسنا ، وكون ذلك لا يتم لنا الا بالتعاون والتناصر ، مع ترك التخاذل والتدابر ، فان لم نفعل ذلك كان ما بقي لنا من القوة الممسكة ممزقا ، وكنا نحن الممزقين

فاذا هو فقه هذا وتدبره أقول له اننا اقوام نجتمع في أمور ونتفرق في أمور ، فإذا نظر كل منا الى ما يخالفه فيه غيره دون ما يوافقه فيه وجعل ما به الخلاف قاضيا على ما به الوفاق تمزقت قوانا واذا نظر كل منا الى ما به الوفاق فعززه وقواه تتحد قوانا و يستفيد كل منا ويفيد

المختلفون منا في المذاهب متفقون في أصل الدين فلماذا يضع اهل كل مذهب مسائل الخلاف بينهم وبين اهل المذهب الآخر نصب أعينهم فيجعلونها سببا لاضعاف كل منهم للآخر ولا يجعلون ما به الوفاق من أصل الدين سببا لتقوية كل منهم للآخر وذلك لا يمنع كلا منهم ان يتفق مع من يوافقه في المذهب على أعمال أخرى تنفعهم ولا تضر غيرهم ؟

لماذا يختصم السني والشيعي في بخارى مثلا ولا نفع لاحد منهما في اختصامهما وانما الخسار عليهما معا والربح كله للروسية السالبة لاستقلالها والمستعبدة لهما معا ؟

ولماذا يتقاتل الزيدي وغير الزيدي في اليمن وهو مما يضعف كلا منهما ، ولماذا لا يتحدون فيما هم متفقون فيه كأصل الدين والوطن فيقوى كل منهما بقوة الآخر ويبقى حرًّا في مذهبه لا يجادله احد فيه الا بالتي هي أحسن فلا يعامل المسلم أخاه المسلم الذي يوافقه في الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بشر مما أمره الله تعالى ان يعامل به أهل الكتاب الذين يخالفونه في الايمان بخاتم النبيين والمرسلين ، وما انزل عليه من الكتاب المبين ، فان استكبر مخالفته إياه في فهم بعض النصوص حتى فهم كلمة التوحيد فليعلم ان آفة المخطئ الجهل وانما يعالج مرض الجهل بالعلم والحلم دون العدوان والبغي ،

والمختلفون منا في الدين متفقون في أمور أخرى يقوى كل منهما بالارتباط مع الآخر بها كالوطن واللغة والجنسية السياسية فلا ينبغي ان يشتغل كل من المسلم والنصراني بمقاومة الآخر بما به الخلاف بل على كل منهما أن يشتغل بالتعاون مع الآخر بما به الوفاق ، فينهضان معا بعمارة البلاد وتنمية الثروة وكل ما يتم به تعزيز الدولة ، ورخاء المعيشة ،

والمختلفون منا في اللغات متفقون في واحدة او اكثر من الجامعات العظيمة التي اشرنا اليها كالدين واللغة والوطن والجنسية فليعمل كل قوم في هذه الدولة مع كل من يشاركهم في جامعة ما لتقوية تلك الجامعة ناظرين دائما الى جهة الوفاق ، متسامحين فيما لا عدوان فيه من جهة الخلاف ، ومن يعب منهم اخاه او يخذله فيما يخالفه فيه من غير عدوان ولا بغي من ذلك المخالف فذلك إما غر مفتون ، وإما احد الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ،

اذا كان من المصلحة العامة ان يكون الاقوام والجماعات احرارا فيما يخدمون به الجامعة الخاصة والجامعة العامة فمن المصلحة ايضا ان يكون الافراد احرارا فيما يخدمون به اللغة والوطن والدين والدولة ومن يكيد لأحد منهم ليحبط عمله فهو من المفسدين كالذين يكيدون لمدرس لكيلا ينتفع بدرسه ، أو مؤلف ليصرفوا الناس عن تأليفه ، او لصاحب صحيفة ينشرها او خطيب يخطبها ، او مدرسة يؤسسها فينفرونهم بالالقاب ، ويصدون عنهم الناس ،

سيقول المحرفون ان في هذا القول منا لحرية الانتقاد ، وابطالا لفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كلا . ثم كلا . ليس هذا من المنع لما ذكر وانما هو عين الانتقاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهكذا فليكن الانتقاد والامر والنهي ، : بيان لبطلان الباطل وطلبة الحق من غير تهيج للعصبية ، ولا إغراء بالاصرار على الخطية ، الا وليحاسب انفسهم المغرورون الذين يدعون القيام بهذه الفريضة ، ثم يخذلون العاملين بالسعاية والغيبة ، ولا يوجهون اليهم الانتقاد فيما بينهم وبينهم ، ياعجبا لماذا يسكتون عن كثير من المنكرات المجمع عليها ، ويثورون بتحمل الانكار في المسائل المجتهد فيها ، الا إن المفاسد المكابر لا علاج له ، يبدأ به حسده فيقتله ، الاوان فيما قلناه مقنعا للمخلصين ، وذكرى تنفع المؤمنين .

* * *

نابتة المدارس والمكاتب (*)

أناخ الصيف بكلكله ، وضرب الحرّ بجرانه ، فانشأت المدارس والمكاتب توصد أبوابها ، وتثور على البلاد أزاهر طلابها ، وتهدي اليهم جنى جناتها ، فمن طلابها من يغادرها موقتا لزيارة الوطن ، وصلة الرحم ، ويعود اليها جمّ النشاط ، وافر الاغتباط ، ليتم المدة ، ويكمل العدة ، ومنهم من يودعها الوداع الاخير ، بقلب الحفيظ ولسان الشكور ، وهم المتخرجون الذين تم فضلهم ، وبلغوا في هذه المعاهد رشدهم ، وآن لهم ان يخدموا الملة والامة بالاستقلال ويطالبوا بالثبات في خدمتهم درجة الكمال ،

يرى الكثيرون من الناس ان الطالب الذي يغادر معهد العلم لاجل صلة الاهل ومودة القربى لا يطلب منه في مدة العطلة الا الراحة من نصب الدرس ، وترويض الجسم وترويح النفس ، بما يباح له من اللعب واللهو ، وان المتخرج قد استراح

(*) المدارس في عرف الاستانة معاهد العلم الديني القديمة وان قرئ فيها غيره والمكاتب معاهد العلم النظامية العصرية ، وكتبنا هذه المقالة في الاستانة فالكلام فيها موجه الى العثمانيين أولا وبالذات فيها ما هو خاص بهم واكثر نصائحها عامة . وما نقرره هنا اصبح مما تقر به جريدة الحضارة وفيه زيادة